**ضم القصيم**

للقصيم أهمية خاصة وأثر واضح على الأحداث السياسية في تاريخ المنطقة، وتتضح هذه الأهمية في عدة جوانب، لعل من أهمها: ازدهار الزراعة في القصيم بسبب غزارة مياهه وجودة أرضه، وكثرة سكانه، وامتداد تجارة أهله في مناطق عديدة تشمل الحجاز ومصر والشام والعراق وموانئ الخليج العربي والهند. ولذا كان لمنطقة القصيم أثراً كبيراً على سير الأحداث في عصر الدولتين السعوديتين الأوليين؛ فقد كانت القصيم منطلق القوات السعودية لتوحيد المناطق الواقعة في شمال الجزيرة العربية. وكان إقليم القصيم البوابة الرئيسية التي حاولت قوات محمد علي باشا أن تدخل منها للقضاء على الدولة السعودية الأولى. وقد أدرك الإمام عبد الله بن سعود أهمية القصيم، فبادر بالذهاب إلى ذلك الإقليم ليحول دون وقوعه في يد القوات الغازية، ونجح بالفعل في التوصل إلى صلح مع طوسون باشا بن محمد علي انسحب الأخير بموجبه وترك القصيم. ولما جاءت تلك القوات مرةً أخرى تحت قيادة إبراهيم باشا اتجهت أيضاً مباشرةً إلى القصيم، حيث بقيت هناك قرابة سنة كاملة تحاول إخضاع ذلك الإقليم، ولما نجحت بذلك واصلت زحفها حتى قضت على حكم الإمام عبد الله بن سعود.

وقد أدرك الإمام فيصل بن تركي لاحقاً أهمية ذلك الإقليم، فبذل جهده للحيلولة دون سيطرة القوات التي قدمت إلى نجد تحت قيادة خالد بن سعود وإسماعيل بك عليه. وبالفعل، كانت سيطرة تلك القوات على إقليم القصيم من أهم العوامل التي أفقدت الإمام فيصل بن تركي فرصة المقاومة في تلك المرحلة. ولما عاد من مصر في عام 1259هـ ووصل إلى حائل، جعل إقليم القصيم نصب عينيه وحرص على أن يكون أول إقليم يسانده لاستعادة حكمه. ثم جاءت هزيمة أهل القصيم في معركة المليداء في عام 1308هـ أمام الأمير محمد بن رشيد لتكون أكبر عامل لتوطيد حكم آل رشيد في نجد من ناحية، وسقوط واضمحلال الدولة السعودية الثانية من ناحية أخرى.

ولما بدأ الملك عبد العزيز مسيرة توحيد البلاد كان الآلاف من أهل القصيم قد تركوا بلادهم وتوجهوا إلى الحجاز ومصر والشام والعراق وموانئ الخليج العربي والهند طلباً للتجارة وهرباً من الأوضاع السياسية التي آلت إليها بلادهم. وكان من بين أولئك الذين خرجوا آل مهنا حكام بريدة وآل سليم حكام عنيزة حيث استقروا في الكويت. ولقد أدرك الأمير عبد العزيز بن سعود والأمير عبد العزيز بن رشيد بأن القصيم سيكون ساحة للصراع بين الطرفين، فسعى ابن سعود لانتزاعه من ابن رشيد بأي طريقة ممكنة، وسعى ابن رشيد للحفاظ على القصيم بأي وسيلة متاحة. ولعل من أهم الطرق التي استخدمها ابن سعود استعانته بحكام المنطقة السابقين، فتحالف مع آل مهنا وآل سليم للعمل سوياً من أجل التخلص من ابن رشيد. وبالفعل وصل حكام القصيم إلى نجد في عام 1321هـ، وتحرك الجميع حتى وصلوا إلى الزلفي، ومن هناك بعث ابن سعود برسالة إلى أهل عنيزة يخبرهم بوجوده في الزلفي برفقة حكام القصيم وبأنه ينوي القدوم إلى عنيزة مستفسراً عن مدى تعاونهم معه. فرد عليه أهل عنيزة برسالة كان محتواها: "إن في رقابنا بيعة لابن رشيد، وهو موجود في القصيم، فإن قضيت عليه فنحن معك". فلما وصلت الرسالة إلى ابن سعود رأى بأن مواصلة السير نحو القصيم غير مناسبة حينذاك، فعاد إلى الرياض، بينما توجه آل مهنا وآل سليم إلى شقراء.

ابن رشيد -من الجانب الآخر- كان يعلم تماماً بأن الهدف القام لابن سعود هو القصيم، ولذلك أقام مدة في بريدة يرتب أموره ويعزز من دفاعات إقليم القصيم، فوضع سرية في بريدة تحت قيادة عبد الرحمن بن ضبعان، ووضع سرية في عنيزة تحت قيادة فهيد بن سبهان، وأرسل سرية مكونة من أربعمئة مقاتل بقيادة حسين بن جراد لترابط في إقليم السر الواقع على الحدود الجنوبية لمنطقة القصيم، وأرسل سرية مكونة من أربعمئة مقاتل أيضاً بقيادة ماجد الحمود آل رشيد لترابط قرب عنيزة. ولما شعر أنه وضع ما يكفي من الحاميات العسكرية في منطقة القصيم وعلم بأن ابن سعود قد عاد إلى الرياض، توجه عبد العزيز بن رشيد إلى جنوبي الرياض لجلب المؤونة واستنهاض قبيلة شمر وطلب المدد من العثمانيين.

لما علم ابن سعود وحلفاؤه من آل مهنا وآل سليم بخروج ابن رشيد إلى العراق أرادوا استغلال الفرصة والتوجه إلى القصيم. علم ابن سعود أن حسين بن جراد مرابطاً بقواته في فيضة السر، فشن هجوماً مباغتاً عليه، فقتل ابن جراد أثناء القتال، ثم عاد ابن سعود إلى الرياض، وكان ذلك في أواخر سنة 1321هـ. ومع مطلع السنة التي تليها خرج ابن سعود ومعه آل مهنا وآل سليم وتظاهر بانه يريد الكويت، ثم غير اتجاهه إلى القصيم، ولما اقترب من عنيزة نزل وترك آل مهنا وآل سليم وأتباعهم يدخلون عنيزة. فتمكن المهاجمون من قتل فهيد بن سبهان أمير الحامية واستسلم باقي أتباعه، وأصبح عبد العزيز بن عبد الله آل سليم أميراً لعنيزة.

وبعد يومين من خضوع عنيزة لآل سليم، توجه آل مهنا إلى بريدة وتمكنوا من دخولها ومحاصرة أمير حاميتها من قبل ابن رشيد الذي تحصن هو وحاميته بقصرها المنيع. وبعد شهرين ونصف من الحصار، نفد ما لدى المحاصرين من الطعام فاستسلموا على أن يخرجوا من بريدة آمنين، فآلت إمارة بريدة إلى صالح الحسن المهنا.

**المراجع:**

عبد الله الصالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، 2: 71-80.